مغزى فاجعة الطف

بقلم
معالي الاستاذ الكبير
جعفر خمري

لكل أمة من الامم ، قديمها وحديثها ، صغيرها وكبيرها ، تقاليد وعنعنات ، أعياد وعادات ، تنفرد بها ، وتتميز بطابعها ، وتحتفل بذكراها ، وفي تاريخ كل منها ، حوادث عدة ، منها ماتزول معالمها ويمحى أثرها بمرور الايام والسنين ، ومنها ماتزداد مع الأيام رسوخاً ، ويزداد تعلق الناس بها ، واقبالهم على تخليدها وتمجيدها ، فتبقى خالدة تتجدد مع الزمان ، كحادثة الطف في كربلا .

والى جانب مالأمم والأقوام من هذه وتلك ، فان لكل منها دستوراً منتزعاً من صميم بيئتها ، دستوراً منتزعاً من صميم طباعها وأخلاقها ، دستوراً منتزعاً من صميم عاداتها ومجتمعها دستوراً عملياً يكفل لها سعادتها وهناءها ، ودستورها هذا هو المرآة التي تنعكس على سطحها صورة تقدمها وازدهارها .

والامم الاسلامية ، ولا سيما العربية منها ، كما لايخفى من الامم العريقة في القدم والحضارة ، من الامم المعروفة بالبطولة والتضحية ، من الامم التي لها طابعها وتاريخها الحافل بجلائل الاعمال ، من الامم التي سادت العالم ، لابالجور والاستبداد ، لا بالظلم والعبودية ، لا بالغدر والخيانة ، بل بسمو رسالتها ، وبسط عدالتها ، ومرانة دستورها ، ذلك الدستور الذي يتميز عن غيره من دساتير الامم الاخرى ، بشريعته السمحاء التي حوت من الفضائل والمثل العليا مالم تحوه شريعة دستور أية أمة أخرى ، ذلك الدستور الذي دعى له نبينا الاعظم محمد بن عبد الله (ص) ذلك الدستور الذي دافع عنه الحسين (ع) في كربلا وضحى من اجله النفس والنفيس .

لابدع ، في أن أمة كهذه ، من حقها ان تباهي الامم الاخرى بشريعتها ، وان تزهو على العالم بمآثرها وجلائل أعمالها ، ومن حقها كذلك أن تعتز بتقاليدها وعاداتها ، وان تقيم النصب التذكارية لأبطالها وقادتها ، وعلينا ، نحن الاسلام ان نعمل جهدنا لصيانة هذا التراث الخالد الذي ورثناه عن أسلافنا ، وعلينا أن ندرس تاريخنا دراسة الممحص الباحث لنلم بدقائقه ، ونقف على سر خلوده ، وعلى مافي طيات صفحاته من دروس وعبر .

وعلينا كذلك أن نتفهم الحوادث الحاسمة فيه ، ونتعقب اثرها ، ونستخلص نتائجها ، وفي طليعة تلك الحوادث ، حادثة الطف ، وما تمخضت عنه من مبادئ سامية ، ومثل عليا .

حريّ بنا ان أن نخلد هذه الذكرى ، وان نقيم من اجلها الاحتفالات في كل صوب ومكان .

حريّ بنا أن نمجد أبطالها وصاحب رسالتها الحسين بن علي « ع » الذي كان ولم يزل وسيبقى حاملا لواء التضحية والبطولة في التاريخ . الحسين الذي استقبل الموت بثغر باسم وعقيدة ثابتة ، وايمان لايتزعزع ، وهو عالم بذلك ، وماسيلحق به وبأهل بيته وأنصاره من تضحيات ، الحسين الذي لايبغي من وراء اقدامه هذا ، زعامة ، أوجاهاً ، او سلطاناً ، سوى تثبيت دعائم الاسلام ونشر راية العدل والفضيلة ليس الا ، الحسين الذي خلق عزيزاً ومات عزيزاً ، الحسين الذي أبى ان يعديده فيبايع يزيداً بن معاوية ، الذي عرف بمجونه وفسقه وسوء تصرفاته ، فيرضخ له رضوخ الذليل ، كما رضخ له غيره من القوم ، ممن عميت بصائرهم ، وغمرتهم بهرجة الدنيا وزخرفتها .

الحسين الذي عرف جيداً ، أن دين جده لم يستقم الا بقتله ، ومع ذلك تقدم للموت غير هياب ولا مكترث ولسان حاله يقول ، إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي ياسيوف خذيني

لم تكن الغاية من إقامة هذه الاحتفالات والمآتم هنا